السابعة مساءً

تقولُ أُمي برفقٍ؛
كي لا يخدشَ الملحُ قلوبنا
قليلٌ من الخبزِ
يكفي ليهدهدَ جوعنا وينامْ.

كان أبي كعادتهِ عند السابعةِ
يعودُ محملاً بالآسى
كالباعةِ المتجولين.
أبي المنسي كمقاهي الأزقةِ،
اعتادَ أن يهرولَ ليطعمنا
في بلادٍ تؤمنُ بموتها
ولأننا صغاراً لا ندركُ !
كيفَ تقسو الحياةُ على أهلها !؟
كنا نضحكُ في كلِ وقتٍ
حتى عندما يتسللُ بكاءُهُ ليلاً لغرفتنا،
ظناً منَا !

بأنهُ يخافُ الظلامَ مثلنا !
كنا صغاراً.
نسمي فراشاتِ السياجِ بألوانها،
ونركضُ لنطرقَ بابَ جارتنا العبوسْ
مختبئينَ في ظلها
لئلا يطالنا عكازها.
كنا صغاراً
يخطفنا الياسمينُ،
وكانت الأيامُ طيبةً جداً،
كرائحة الجداتِ
حين تقصُ الحكايا في آخرِ الليلْ.

وفي غفلةٍ منا كَبُرت ملامحنا،
ونحن نلمحُ ظلهُ من بعيدْ
يراقبُ البيتَ
فنسألهُ بصوتٍ جهورْ
لماذا لا تصلنا رسائلكَ ؟
نذهبُ بأسئلةٍ كل يومٍ،

لنعودَ بمثلها غائمين؛

كسحابةٍ تملؤها الدموعْ.

كيف لأبي أن يتجاهل ندوبنا ؟

وحناجرنا المتقرحة ؟

كيف لهُ أن ينام واقفاً ؟

وهكذا نعود كالباعةِ المتجولين

كما كان أبي.

نجر احتضار الحقلِ في خطواتنا

لنراها على مقعدهِ القديم

جالسةً تتشظى برفقٍ وحدها عند السابعةْ .